مستقبل التنظيمات الإسلامية في أوروبا وأمريكا الشمالية في ظل صعود اليمين

أنس القصاص *

ملخص: تتناول هذه الدراسة التنظيمات الإسلامية في أوروبا وأمريكا الشمالية من زاوية تأثير البيئة السياسية والإستراتيجية في فرص بقائها واستدامتها، ويُفرِّقُ الباحث بين البيئة الإستراتيجية في أوروبا وأمريكا الشمالية أو بالأحرى الولايات المتحدة، وتأثير كل واحدة في شكل التطور الذي لحق بالتنظيمات الإسلامية. يدرس الباحث البدايات المبكرة لنشأة التنظيمات الإسلامية في أوروبا والولايات المتحدة، ويفرّق بين شكلي التنظيمين بقياس حجم ارتباط الجاليات الإسلامية بالجغرافيا السياسية للحركة الإسلامية في الشرق الأوسط. كما يدرس صعود اليمين المتطرف وأثره في الحالة الإسلامية في الغرب، ثم ينظر في مستقبل تلك المنظمات، وفرص بقائها، وقدر التهديد الذي يواجهها.

* باحث، مصر

The Future of Islamic Organizations in Europe and North America under the Rise of the Right

ANAS AL-QASSAS*

ABSTRACT This study addresses Islamic organizations in Europe and North America in terms of the impact of the political and strategic environment on their survival and sustainability. The paper distinguishes between the strategic environment in Europe and that of North America, and the influence of each in the form of the evolution of Islamic organizations. Moreover, there is distinguished between various types of organizations by measuring the extent of Islamic communities association with the political geography of the Islamic Movement in the Middle East. The study also follows the rise of the far right and its impact on the Islamic situation in the West, and then looks into the future of these organizations, their chances of survival, and the threat they face.

* Researcher, Egypt

رؤية تركية
2017 - (6/1)
186 - 169

مقدمة

في أواخر يناير المنصرم، انعقدت في مدينة إسطنبول التركية الهيئة العمومية الرابعة لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا الذي يعدّ الكيان التنسيقي الأكبر، والمظلة الأشمل والأقدم للجاليات الإسلامية في أوروبا، وعلى مدار أيام الانعقاد الأربع، بُحِث العديد من القضايا الملتهبة التي تمس الجاليات الإسلامية في أوروبا، بدءًا من الملاحظات على الأداء العام للمكتب التنفيذي للاتحاد، ومرورًا بآفاق التنمية الإدارية، وخيارات التطوير الهيكلي لمؤسسات الاتحاد، وصولًا إلى قضايا الإدماج، وإستراتيجيات مواجهة الإسلاموفوبيا والسياسات التي ينبغي على الاتحاد انتهاجها لتحجيم خطر التطرف المرتبط بصعود اليمين على الجاليات الإسلامية في الدول التي تشهد تلك الظاهرة، والتنبيه على حرص الجاليات الإسلامية على الحفاظ على الأمن والاستقرار الاجتماعي. كما أكدت الهيئة أهمية العمل بمقتضى رسالة الاتحاد في "التعريف بالإسلام، وتشجيع مسلمي أوروبا، ومساعدتهم على ممارسة شعائرهم الدينية، والإسهام الفاعل في مختلف جوانب الحياة، في إطار من الفهم الوسطي، وضمن منهج إصلاحي تجديدي"، وما يترتب على ذلك من أهداف إستراتيجية. لكن يجب علينا أن نتوقف عند قرار اتّخذته الهيئة بالفحص والتشريح، وهو إقرار مشروع تطوير هيكلة الاتحاد، حيث أصدرت الهيئة قرارًا يتعلق بصفة الاتحاد، وطبيعة علاقاته "تثبّت فيه أنه مؤسسة أوروبية، ليس لها أي ارتباط إداري أو تنظيمي بمؤسسات أو هيئات خارج أوروبا، وأنه يبني علاقاته على أساس من الانفتاح والتعاون من أجل الصالح العام."[1] وهو الأمر الذي فهم أنه فك ارتباط بالتنظيم العالمي للإخوان المسلمين، الذي كان ذلك الاتحاد أحد أهم أذرعه العالمية.

قرار كهذا ينطوي على تفصيلات كثيرة، من بينها تفادي الدخول في منازعات حكومية ذات شق قضائي، مثل التي دخلت فيها نظيراتها الأمريكية: "الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية ISNA"، التي اتهمتها لجنة الشؤون المالية بالكونغرس ثم وزارة العدل الأمريكية [2]، هي ومجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية CAIR، ومؤسسة الوقف الإسلامي في أمريكا الشمالية NAIT- بدعم الإرهاب، والانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين على إثر قضية مؤسسة الأرض المقدسة HLF، المثيرة للجدل في الأوساط الأمريكية في 2001.

جينيالوجيا المنظمات الإسلامية في أوروبا وأمريكا الشمالية

بعد الحرب العالمية الثانية، دشنت القوى الإمبريالية -ولاسيّما بريطانيا- سياسة فك الارتباط، التي رمت إلى تفكيك مستعمرات الشرق، والتي أثبتت دروس الحرب أن تلك المستعمرات عبء كبير، وأن ثمة نظامًا دوليًّا جديدًا يتشكل، يحكمه ما هو أكثر من قوة السلاح، حيث الاقتصاد الذي لعب دورًا محوريًّا في تشكيل عالم ما بعد الحرب. فبريطانيا التي ضربها الركود، وفرنسا وإيطاليا اللتان ضربهما الدمار، وألمانيا التي قُسِّمت بقوة المدرعات وسلاح الجو- كلها خضعت ورضخت بشكل جماعي لقوة الدولار، الذي اجتاح أوروبا ممثلًا في خطة مارشال، التي طلبها الكل ولم تتعفف عنها أي قوة أوروبية، إلا تلك الدول التي

انضوت مبكرًا تحت لواء الشيوعية الدولية، كدول شرق أوروبا. ذلك الاقتصاد الذي شكّل ملامح المنظومة الدولية قام كذلك على تشكيل المجتمعات، وهندسة نظام الحكم، ووضع أطر لمصفوفة العلاقات بين السلطة والمجتمع، وكانت الحرية والديموقراطية والتنمية أهم ركائزها.

في ظل هذه الأجواء، أدت سياسات فك الارتباط بالمستعمرات القديمة والنظام العالمي الجديد الذي تشكل سريعًا إلى دخول مناطق العالم في منظومة ما بعد الاستعمار التي شُكلت إلى حدّ كبير بعيدًا عن بناء الإجماع المحلي. هذا الأمر أدى إلى نزاعات أهلية واسعة، ولاسيّما في أتون حروب الأفكار والثورات الثقافية بين المعسكر الشيوعي الشرقي واللاتيني والمعسكر الليبرالي الغربي. لكنّ منطقة الشرق الأوسط كانت لها خصوصية في هذا النزاع فوق مثيلاتها من مناطق العالم. فالمنطقة بها تيار إسلامي فكري وحركي منذ أواسط القرن التاسع عشر، ويتطلع أن يكون له دور في صياغة منظومة ما بعد الاستعمار. لكن هذا التيار (ولاسيّما حركة الإخوان المسلمين) تمت مواجهته بشكل عنيف لأسباب عديدة، بعضها يتعلق بضعف الرؤية السياسية عند هذا التيار، وبعضها الآخر يُعزَى إلى الثقافة الإقصائية التي ظهرت جلية لدى حكام المنطقة الجدد، وكانت القوى الدولية تراها ضرورية لسهولة الاتفاق على شكل المنطقة وتحيزاتها الدولية.

هذا الإقصاء أدّى إلى نزوح عدد معتبر من قيادات التيار الإسلامي الطلابية إلى كثير من الوجهات الإقليمية والدولية، ولاسيّما السعودية، لكن الخيار الأساسي لهذا التيار كان أوروبا وأمريكا الشمالية. فتلك الروح الجديدة التي ملأت جنبات القارة قد تلاعبت بمخيلة الإسلاميين الذين رأوا في أوروبا نموذجًا سياسيًّا وتنمويًّا ينبغي الوقوف عنده. وقد أضاف هؤلاء إلى أوروبا بقدر ما أضافت أوروبا لهم. فقد منحتهم أوروبا المناخ الهادئ والدافئ والمحرك للإبداع في قلب عالم يموج بالصراعات، وعاش الجيل الأول من المهاجرين هناك،

أدت سياسات فك الارتباط بالمستعمرات القديمة والنظام العالمي الجديد الذي تشكل سريعًا إلى دخول مناطق العالم في منظومة ما بعد الاستعمار التي شُكّلت إلى حدّ كبير بعيدًا عن بناء الإجماع المحلي

وربوا أبناءهم تربية أوروبية محافظة، كما يربي المحافظون الأوروبيون أبناءهم، ومع مرور الوقت أصبحوا جزءًا لا يتجزأ من صلب المجتمع الأوروبي.

لم يأت هؤلاء على أرض يباب ليس بها مسلمون. فقد كانت الجاليات الإسلامية موجودة بالفعل، إلا أنها لم تكن مؤثرة بشكل فعّال؛ لأسباب سياسية واجتماعية عديدة. لكن ما أضافه هؤلاء الوافدون من الشرق الأوسط أنهم كانوا قد احترفوا العمل الجماعي في بلدانهم، ولديهم قناعة راسخة في أن كل عمل مهمّ يلزمه تنظيم لتحقيق استدامته. ومن هنا فقد فكروا في توفير مظلات تنظيمية للمسلمين في أوروبا تدافع عن مصالحهم وقضاياهم، وتقوم على تطوير خطاب إسلامي معتدل متصالح مع تلك المجتمعات التي يعيشون بينها من أجل زيادة معدلات الإدماج المجتمعي للجاليات الإسلامية والمهاجرين والوافدين الجدد. لم يمر سوى أعوام قليلة حتى ظهرت أول منظمة إسلامية عابرة للحدود تعني بكل هذه القضايا وغيرها، ألا وهي اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا الذي أنشأه الشيخ سعيد رمضان زوج ابنة الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، ووالد المفكر السويسري المعروف وأستاذ كرسي الأديان في جامعة أوكسفورد الدكتور طارق رمضان. وقد بدأ اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا العمل منذ أواخر الخمسينيات الميلادية من الطلبة الوافدين الذين جاؤوا بالذات من مصر، وبدؤا العمل بصفوف الطلاب حتى تطور العمل بعد ذلك إلى المؤسسات؛ حيث جاءت محاولة رمضان بعد عدة مراكز محلية أنشأها في سويسرا، (كالمركز الإسلامي في جنيف) وألمانيا (التجمع الإسلامي الألماني) وفرنسا. وقد كانت التجارب ناجحة، وهذا ما أغرى رمضان بالتفكير في تنظيم مظلي عابر للحدود يعني بالترتيبات والتكييفات الإستراتيجية لمسلمي القارة. بعد ذلك ظهرت منظمات أخرى كبيرة، كرابطة المسلمين في بريطانيا واتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا، والتجمع الإسلامي في ألمانيا بوصفها أكبر منظمات إسلامية في أوروبا تضم في عضويتها مئات الجمعيات والمراكز الإسلامية الكبرى المنتشرة في الحواضر الأوروبية.

كانت لهذه المنظمات مهمة وظيفية محل اتفاق. فقد ساعدت هذه المنظمات على تطوير إدراكات المسلمين الأوروبيين، وتماشوا إلى حدّ معقول مع نمط التفكير والحياة الغربية على مستويات عدة وفق تصور فقهي وشرعي يرى في التواصل مع الآخر والاندماج في المجتمعات فضيلة إسلامية؛ كما رأت أوروبا في هؤلاء ميزة وفرصة مهمة لضمان تعددية (مفيدة) في القارة العجوز. فقد استفادت أوروبا من وجود هذا الحراك الإسلامي على أراضيها بالاستفادة منه في تطويق المدّ الشيوعي، ولاسيّما في البلقان وشرق أوروبا؛ كما استفادت من المنظمات الإسلامية تلك في الحشد للجهاد ضد الروس في أفغانستان، ثم خلال حروب البلقان في البوسنة، ثم كوسوفو، من خلال مدونة تفاهم غير مكتوبة غالبًا بين حكومات الاتحاد والمنظمات الإسلامية

في أوروبا، أدّت في النهاية إلى تفكيك الكتلة اليوغوسلافية التي كانت مخلبًا للدب السوفييتي في قلب أوروبا.

أما الولايات المتحدة، فقد شهدت زخمًا إسلاميًّا مبكرًا. فقد بدأت موجات هجرة من الشرق الأوسط وشرق أوروبا إلى الولايات المتحدة منذ أواخر القرن الثامن عشر، وذلك بسبب ظروف سياسية في أحيان، ورغبة في تحسين نمط الحياة واكتشاف ذلك العالم الجديد الذي كان في مخيلة بعضهم فردوسًا أرضيًّا في أحيان أخرى. لكن فكرة تنظيم الجالية الإسلامية في الولايات المتحدة لم تبزغ سوى بعد الحرب العالمية الأولى في ظل عصر مبادئ ويلسون التي داعبت عقول وقلوب وعواطف الشعوب التي تتوق إلى الحرية وكسر الاستعمار. ومع انتشار الإسلام في أوساط السود بشكل استثنائي، كان أول تنظيم إسلامي في الولايات المتحدة هو (أمة الإسلام) على الرغم من أفكاره المتطرفة التي حابت السود، وأظهرت البيض على أنهم الشيطان. لكن البداية الحقيقية للمنظمات الإسلامية في الولايات المتحدة كان مع أوائل الثمانينيات من القرن العشرين، وذلك لثلاثة عوامل:

1. تصاعد زخم الإسلام السياسي في الشرق الأوسط بعد أفول الحقبة الناصرية وبناء الإخوان المسلمين لرابطتها العالمية، أو ما بات يعرف بعد ذلك بالتنظيم الدولي للإخوان المسلمين الذي كان له أذرع نشطة في الولايات المتحدة.

2. تصاعد القيمة الجيواستراتيجية للبترودولار، وهو ما عظم ووسع من الوجود الوهابي السلفي في الجاليات الإسلامية، بالخارج، ولاسيّما في الولايات المتحدة.

3. أن الثورة الإسلامية في إيران نهاية السبعينيات من القرن الماضي أعطت زخمًا قويًّا للوجود والتبشير الشيعي في الخارج، وكان عاملًا مهمًّا في حدوث زخم التنظيمات الإسلامية في الولايات المتحدة.

إن المنظمات والشبكات الإسلامية في الولايات المتحدة وأمريكا الشمالية بشكل عام –مثلها مثل المنظمات الإسلامية في أوروبا– اهتمت بقضايا الإدماج والاستقرار المجتمعي، إضافة إلى قضايا أخرى كالاصطفاف مع شواغل العقل العربي والإسلامي، مثل قضية فلسطين، والسياسات الدفاعية الأمريكية في الشرق الأوسط، ونقد معسكر صدام الحضارات ونهاية التاريخ، إضافة إلى الاهتمام بقضايا فقة الأقليات من أجل خلق بيئة شرعية موائمة للمسلمين في هذه الأماكن.

ونشطت المنظمات الإسلامية في أوروبا في وقت مبكر مقارنة بالمنظمات الإسلامية في أمريكا الشمالية التي شقت طريقها في وقت متأخر نسبيًّا، وذلك لأمرين:

1 – أن المنظمات الإسلامية في أوروبا قامت على أكتاف أعضاء الحركات الإسلامية المهاجرين من الشرق الأوسط؛ بسبب الأوضاع السياسية في فترة ما بعد الاستعمار، في حين أن بداية المنظمات الإسلامية في أمريكاالشمالية بدأت بعد الانفراج النسبي لأزمة الإسلامين مع بعض حكومات الشرق الأوسط في السبعينيات والثمانينيات.

2 - أن المنظمات الإسلامية في أمريكا الشمالية نشأت لتلبية حاجة لدى الجالية الإسلامية بوجود كيان تنسيقي مع حكومة الولايات المتحدة تحديدًا، وكذلك الحاجة لوجود صوت موحد ومسموع ولاسيّما مع تصاعد الحاجة إلى كيانات كتلك، مع تصاعد أصوات المحافظين الجدد، ووصول بعضهم إلى مواقع تنفيذية ونافذة داخل الإدارات الأمريكية المتعاقبة منذ السبعينيات من القرن الماضي. وهنا يمكن التفريق في النشأة بين المنظمات الإسلامية في أوروبا التي وُجد فيها هذا التوجه من أجل قضايا الإدماج والتطوير الفقهي والتبشيري، والمنظمات في الولايَات المتحدة التي نشأت في إطار بيئة سياسية ساخنة بشكل أساسي، وأصبح المكون السياسي والاجتماعي في خطابها أعلى من المكون الديني.

اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا: مظلة مسلمي أوروبا

يمثل المسلمون في أوروبا قرابة 5٪ من إجمالي سكان القارة، وينتشرون بشكل كبير في شتى أنحائها. وبنفس معدل انتشار الإسلام في القارة، تنتشر المراكز والجمعيات والهيئات الإسلامية في كامل أوروبا، لكن على الرغم من أن اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا لا يضم المراكز والجمعيات والهيئات الإسلامية كافة تحت رايته إلا أن الاتحاد يضم معظمها، ولاسيّما بانضواء الاتحادات الوطنية في البلدان الكبرى، كبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا تحت لوائه، وهذا جعله ذا مصداقية كبيرة لدى الشارع وصانع القرار الأوروبي.

وإن اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا هيئة إسلامية أوروبية جامعة تشكل إطارًا موحدًا للمنظمات والمؤسسات والجمعيات الإسلامية الأوروبية الأعضاء فيه، حيث يضم الاتحاد مئات المنظمات الموزعة على 28 قطرًا أوروبيًّا. وقد استطاع الاتحاد، بحسب موقعه[3]، "توحيد الخطاب السياسي، وتبني فكرة توطين الإسلام، ومن ثم الانتقال بالمسلمين من مجرد مهاجرين لا يملكون من أمرهم شيئًا إلى مواطنين لهم من الحقوق ما لأهل البلد، وعليهم من الواجبات ما عليهم، ويمثل الاتحاد اليوم بما يحمله من مبادئ تجسد البعد الإنساني في الإسلام، رصيدًا لا يستهان به على الساحة الأوربية، ليصبح إضافة نوعية لهذه الحضارة التي طالما نهلت من معين الحضارة الإسلامية، واستفادت من علومها، لتتبلغ بها عصر النور الأوربي. وفي سياق التنظيم وضع الاتحاد دستورًا صاغ فيه منهجه بصفته مؤسسة إسلامية أوربية تطوع لخدمة المجتمع الأوربي بما يحقق له الأمن والرفاه، من خلال التعاون مع بقية مكونات المجتمع؛ لترسيخ مبادئ العدالة الاجتماعية، وحماية المواطن من كل أشكال التمييز، ومحاربة الجريمة بأنواعها."

ويتمتع اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا الذي أُسِّس رسميًّا عام 1989 في بريطانيا بعلاقات رسمية قوية مع الأجهزة الرسمية الأوروبية، وعلى رأسها الاتحاد الأوروبي. ويتبَع الاتحاد مؤسسات وجمعيات وهيئات وروابط كثيرة منتشرة في كامل أنحاد القارة الأوروبية، ولاسيّما في البلدان الكبرى الأروبية الكبرى، كبريطانيا حيث رابطة المسلمين في بريطانيا، وفرنسا التي يمثلها في اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا، وكذلك ألمانيا التي يمثلها التجمع الإسلامي في ألمانيا، وإيطاليا التي يمثلها اتحاد الهيئات

والجاليات الإسلامية في إيطاليا وغيرها، من دول أوروبية عديدة، كالدانمارك والسويد والنرويج وإسبانيا واليونان وبلجيكا، وما يقرب من 15 دولة أوروبية أخرى.

كما أنشأ الاتحاد أجهزة وأذرعًا فنية لتقديم خدمات متفردة إلى الجالية الإسلامية في أوروبا، مثل المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث والدراسات الإسلامية الذي أُنشِئ في نهاية التسعينيات من القرن الماضي، ويترأسه الشيخ يوسف القرضاوي، وهي هيئة معنية بفقه الأقليات المسلمة في أوروبا والغرب عمومًا. وقد كان هذا المجلس أداة مهمّة في توطيد علاقة الأقليات المسلمة بمجتمعاتها، وتدعيم دمجها بطريق الفتاوى، وكذلك عدم فصلها عن مجمل العالم الإسلامي، بقرارات مهمّة، مثل قرار الاعتماد على الحساب الفلكي للدخول في الأشهر القمرية، وبخاصة في شهر رمضان، بهدف توحيد المسلمين، ولمّ شملهم، من منطلقات إسلامية مستوحاة من الكتاب والسنة وما أجمعت عليه الأمة، من غير تكلّف أو غلو، في إطار يجمع بين الأصالة والحداثة، وبين المبدئية والمرونة[4].

ومن الهيئات الأخرى التابعة لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا المنتدى الأوروبي للمرأة المسلمة الذي يسعى إلى تغيير أحوال المرأة المسلمة عن طريق حملات توعية تُعلي من دور ومسؤوليات المرأة الأوروبية المسلمة في بيتها ومجتمعها، وكذلك إسهامها في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية في أنحاء القارة، وذلك بحسب موقع المنتدى[5].

وكذلك من بين الأجهزة التابعة لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا ما يُسمَّى بمنتدى الشباب المسلم الأوروبي الذي أُسِّس عام 1998 بوصفه هيئة جامعة لكل اتحادات الشباب الإسلامي المنتشرة في مختلف دول القارة.

ومن بين أجهزة الاتحاد النشطة (التجمع الأوروبي للأئمة والمرشدين)، الذي يضم الأئمة والمرشدين القاطنين في البلدان الأوربية والمتخصصين في مجال الدعوة والإرشاد الديني بين المسلمين في أوربا.

وقد سعى الاتحاد عبر مبادرات عديدة لكسر حاجز الخوف من الوجود الإسلامي في الغرب، الذي انتقل من حيز الإعلام إلى حيز الخطاب العدائي، من قبل اليمين المتطرف، الذي يكسب مساحات كبيرة كل يوم، وفي كل محفل انتخابي. ومن بين هذه الجهود إعلان ميثاق مسلمي أوروبا في العاشر من شهر يناير 2008 بالعاصمة الأوروبية بروكسل، الذي جاء ليطمئن الأوربيين، ويؤكد لهم أن الوجود الإسلامي يمثل إضافة نوعية، وثراءً ثقافيًّا لأوروبا.

المنظمات الإسلامية في أمريكا الشمالية: فسيفساء متساندة

في سبتمبر 2004، وعلى صفحات مجلة فرونت بيج اليمينية الشهيرة، كتب المفكر اليميني الأمريكي دانيال بايبس مقالًا بعنوان (الولايات المتحدة الإسلامية) حذّر فيه من النشاط الكبير للجمعيات الإسلامية في الولايات المتحدة، ومن أن هذا سيؤدي تدريجيًّا إلى تغيير المجتمع الأمريكي من الداخل وبشكل وئيد[6].

أفكار دانيال بايبس ومخاوفه على عنصريتها مؤشر على زخم متزايد للحالة الإسلامية في أمريكا الشمالية. فعدد المسلمين اليوم في الولايات المتحدة وحدها –بحسب تقديرات مختلفة– يتراوح بين 8 إلى 10 ملايين نسمة، بإجمالي 5٪ من نسبة الأصوات الانتخابية. ويوجد حاليًّا في الولايات المتحدة أكثر من 2000 مسجد (بزيادة قدرها 74٪ مقارنة بعام 2000)، وأكثر من 300 مدرسة نظامية وموسمية، ويشارك 15 ألف مسلم في الجيش الأمريكي، بحسب دراسة استطلاعية لمجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية CAIR في 2011[17]. وتوجد أغلبية هذه المساجد، بحسب الدراسة، في الحواضر الأمريكية الكبرى على الساحلين الشرقي والغربي، وتحديدًا في ولايتَي نيويورك وكاليفورنيا. كما كشفت مؤشرات تلك الدراسة عن تزايد معدلات التدين داخل الأقلية المسلمة بنسبة أكثر من 100٪ مقارنة باستبانة قديمة أُجرِيت في عام 1994.

ولأجل هذه الحالة المتصاعدة أُنشئت مؤسسات لرعايتها، لكن –على عكس الحالة الأوروبية– لا توجد منظمة مظلية واحدة تجمع المنظمات الإسلامية في الولايات المتحدة؛ بسبب تفرق بعضها بين سني وشيعي، وبعضها الآخر بين المدرسة الوسطية المنحدرة من حركة الإخوان المسلمين والحراك الأزهري والمدرسة الوهابية المدعومة سعوديًّا. لكنه على الرغم من عدم وجود منظمات عضوية مظلية Umbrella Organization، توجد كيانات تمثيلية

ترعى مصالح المسلمين وقضاياهم في الولايات المتحدة، ولاسيّما في ملف الحريات الدينية، والتواصل مع الدولة الأمريكية ومؤسساتها وإداراتها.

وتنقسم المنظمات الإسلامية في أمريكا الشمالية إلى كيانين كبيرين: أحدهما جهاز تنسيق سياسي، والآخر معني بالعمل الدعوي والاجتماعي، ويندرج تحت كليهما شبكة معقدة من المنظمات والهيئات، وهي كالآتي:

يمثل المسلمون في أوروبا قرابة 5 % من إجمالي سكان القارة، وينتشرون بشكل كبير في شتى أنحائها. وبنفس معدل انتشار الإسلام في القارة، تنتشر المراكز والجمعيات والهيئات الإسلامية في كامل أوروبا

1. المجلس الإسلامي الأمريكي للتنسيق السياسي (AMPCC): أنشِئ عام 2000، وينضوي في إطاره المؤسسات الآتية:

- مجلس الشؤون العامة الإسلامية (MPAC)، وهو أقدم هيئة إسلامية في الولايات المتحدة، حيث أُسِّس في عام 1988م.
- مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية CAIR
- الجمعية الإسلامية الأمريكية MAS FOUNDATION
- المجلس الإسلامي الأمريكي AMC
- التحالف الإسلامي الأمريكي AMA
- الدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية ICNA
- اتحاد المسلمين لشمال أمريكا MANA
- الأمة الإسلامية لشمال أمريكا MUNA
- اتحاد المسلمين الأمريكيين AMA
- الجمعية الإسلامية الأمريكية من أجل فلسطين AMP
- الصندوق الشرعي لمسلمي أمريكا MIFA
- مؤسسة الجامع في شيكاغو

2. الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية ISNA وهي مظلة يتبَعها الكثير من جمعيات واتحادات العمل النوعي وهي كالآتي:

- رابطة الشباب العربي المسلم MAYA
- رابطة الطلاب المسلمين MSA
- الوقف الإسلامي لأمريكا الشمالية NAIT
- الدعوة الإسلامية الأمريكية AMM

- اتحاد الجاليات الإسلامية MCA
- رابطة الشباب المسلم في أمريكا الشمالية MYNA
- مركز التعليم الإسلاميITC
- جمعية علماء العلوم الاجتماعية المسلمين AMSS
- جمعية العلماء والمهندسين المسلمين AMSE
- اتحاد الأطباء المسلمين IMA
- مؤسسة التنمية العالمية FID
- الوقف الإسلامي في كندا CIT
- المجموعة الدراسية الماليزية الإسلامية MISG

إضافة إلى ذلك، يتركز الوجود السلفي في التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية، وهي هيئة سلفية تؤدّي دورًا كبيرًا في خدمة المسلمين، للحفاظ على الأقليات المسلمة، ورعاية هويتها، وتوفير الخدمات الاجتماعية والعلمية لها، ودعوة غير المسلمين إلى الإسلام، كما يرعى برامج الدعوة والتعليم والإعلام. في حين يعدّ المركز الإسلامي في أمريكا المحطة الأساسية للشيعة الأمريكيين.

شكّل صعود ترامب وتياره المتطرف إلى سدة البيت الأبيض محطة مهمّة جدًا في تصاعد نفوذ التطرف اليميني الأمريكي. إذ جاء ترامب حاملًا راية مواجهة ومصارعة الإسلام الراديكالي

أما ما يتعلق بجهاز التنسيق السياسي المذكور آنفًا، المعني بالدفاع عن الحقوق والحريات والاتصال بالدوائر الرسمية، فإن المؤسسة الأهم فيه هي مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية CAIR، وهو مجموعة شعبية تُعنَى بالدعوة وحماية حقوق المدنيين. ويُعدّ المجلس أكبر منظمة أمريكية للحريات المدنية الإسلامية، ويمتلك مجموعة مكاتب إقليمية موزعة في أرجاء الوطن. ويقع مقر القيادة العامة الوطنية للمجلس في الكابيتول هيل في العاصمة واشنطن. ومنذ تأسيسه عام 1994 دأب المجلس على إظهار صورة إيجابية عن الإسلام والمسلمين في أمريكا، من خلال العلاقات الإعلامية والعلاقات الحكومية والدعوة والتعليم. ويعمل المجلس وفق منظور إسلامي، حرصًا منه على تمثيل الصوت الإسلامي. كما يسعى المجلس في اعتماده لهذا المنظور إلى دعم الجالية الإسلامية الأمريكية، وتحفيز مشاركتها في الأنشطة الاجتماعية والسياسية. ويعمل المجلس على صيانة الحقوق المدنية للمسلمين عن طريق التوسّط والمرافعة بالنيابة عن المسلمين أو غيرهم من الذين يعانون التمييز العنصري الديني، أو الافتراء وتشويه السمعة أو جرائم الكراهية. ومن وظائف المجلس كذلك تنظيم وممارسة الضغوط في القضايا ذات الصلة بالإسلام والمسلمين، وكذا مراقبة التشريعات والنشاطات الحكومية، حيث يتولى الردود نيابة

عـن الجالية الإسـلامية الأمريكية. وقد أدلى ممثلو المجلس بشـهادتهم أمام الكونغرس، ورعى المجلس عددًا من الأنشطة التي من شأنها نقل مخاوف المسلمين إلى مؤسسة الحكم الأمريكية.

اليمين المتطرف على خط المواجهة

كل هذه الهيئات والأنشطة في أوروبا والولايات المتحدة كوّنت فسيفساء متكاملة لـ(لوبي) إسلامي متكامل، يترافع من أجل ضمان الحقوق المدنية والدستورية لأعضائه. وهذا الأمر مع أنه مشروع إلا أنه أخاف بل واستفز قوى اليمين المتطرف، الذي يرتفع صوته يومًا تلو الآخر، مؤذنًا بمستقبل غامض للأطر التعددية للمجتمعات الغربية.

وقـد شـكّل صعـود ترامب وتيـاره المتطرف إلى سـدة البيـت الأبيض محطة مهمّـة جدًّا في تصاعـد نفـوذ التطـرف اليمينـي الأمريكـي. إذ جـاء ترامب حامـلًا راية مواجهـة ومصارعة الإسلام الراديكالي، ومع أنّه تنازل عن معالم كثيرة من رؤيته التي طرحها في الحملة الانتخابية، ولاسـيّما التي تتعلق بالموقف من أمن أوروبا، ودعـم الناتو، والموقف من الصين، والصراع في الباسيفيك، إلا أنّه لم يتخلّ يومًا عن نبرته المتصاعدة ضد الإسلام، ووصمه بالتطرف.

صعـود ترامـب لم يكـن وليد اللحظـة، فالولايـات المتحدة بها مدرسـة انسـحابية تميل إلى التطـرف وتبغـض التنوع، وهذه المدرسـة لها جذور قديمة، ولاسـيّما خـلال التصدي لكفاح حركـة الحقـوق المدنيـة التي تزعمها مارتـن لوثر في سـتينيات القرن الماضي، كـما ظهرت هذه الأفـكار بشـكل جلي قبل ذلـك مع ظهور لجنـة "أمريكا أولا" عـام 1940، الداعيـة إلى عدم الانهـماك في الحـرب العالمية الثانية، والنأي بأمريكا بعيدًا. هذه المسـحة الانسـحابية دائما تمقت التنـوع، ويتفاقم معها خطاب الكراهية. وقد ظهر هذا مبكرًا في كتابات قديمة للمفكر الألماني ليو شتراوس، وطورها إيرفينج كريستول الذي وضع أسس تيار المحافظين الجدد، والذي تبوأ كثير من أتباعه مقاعد مهمّة داخل الإدارات الأمريكية المتعاقبة، أمثال ديك تشيني، وريتشارد بـيرل، وبول ولفوويتز، ودونالد رامسـفيلد، وبول بريمر، وإليـوت أبرامز، إضافة إلى خطاب الكراهية، فإن هذا التيار يروج لخطاب يركز بشـكل اسـتثنائي على كراهية المسلمين التي يُنظِّرُ لهـا مـن داخل ذلك التيار عن طريق مفكرين كبار، مثل: المفكر اليهودي برنارد لويس (أسـتاذ التاريخ بجامعة لندن)، وبيل كريستول (مؤسس مشروع القرن الأمريكي الجديد PNAC)، وسـتيفن إيمرسـون (مدير المشروع الاسـتقصائي حـول الإرهاب IPT)، وروبرت سـبنسر (مؤسس Jihad Watch)، ودانيال بايبس (رئيس منتدى الشرق الأوسط MEF)، وديفيد هورويتز (مؤسـس مجلة فرونت بيج FrontPage)، وفرانك جافني (مؤسـس ومدير مركز السياسة الأمنية CSP). هذه المدرسة تشكل وجدان كثير من المنتمين إلى اليمين المتطرف الآن، وتوجد عشرات المبادرات والمؤسسات، وعشرات الشخصيات العامة ذات الظهور الإعلامي المنتظم التي تحاول ترويج خطاب الكراهية ضد المسـلمين بشـكل عام، والمنظمات الإسـلامية بشـكل خاص داخل الولايات المتحدة، وتتهمها بأنها منظمات إرهابية راعية للإرهاب. والآن بفوز ترامب، ربح هذا المعسكر مقعدًا لأحد أبنائه داخل البيت الأبيض، ألا وهو ستيف بانون

الـذي يعمل كبير المخططين الإسـتراتيجيين للرئيس الأمريكي الحـالي دونالد ترامب؛ وهو ما علـق عليه نهاد عوض، رئيس مجلس العلاقات الإسـلامية الأمريكيـة CAIR بقوله "ترامب يسعى لتنفيذ كل ما وعد به خلال حملته الانتخابية، وإحداها حظر دخول المسلمين إلى البلاد، ووراء هذا القرار كيان الإسلاموفوبيا في الولايات المتحدة، ومع الأسف فإن أحد تلك الأسماء يشـغل منصب كبير مستشـاري ترامب حاليًّا، وهؤلاء جزء من عصابة تكافح ضد الإسلام في أمريكا"، في إشارة إلى بانون.

استغل هذا المعسكر أحداث الحادي عشر من سبتمبر في ترويج خطاب مؤامراتي كلاسيكي ضد المنظمات الإسلامية في الولايات المتحدة باعتبارها راعية وممولة للتطرف، واستغلت التوجه الرسـمي الأمريكـي حينها في إلحاق أضرار كبـيرة بكثير من تلك المنظمات، ولاسـيّما المجلس الإسـلامي الأمريكـي AMC، والجمعيـة الإسـلامية في أمريـكا الشـمالية ISNA، والوقف الإسلامي في أمريكا الشمالية NAIT، وكذلك الجمعية الإسلامية الأمريكية MAS، ورابطة الشـباب العـربي المسـلم MAYA، وكذلك المعهـد العالمـي للفكر الإسـلامي IIIT؛ حيث ورد أسـماء معظـم هذه المنظـمات في أوراق إدانة من قبل جهات اسـتقصائية وعدلية، كمكتب التحقيقات الفيدرالي، ووزارة العدل الأمريكية، ولاسـيّما في قضية مؤسسـة الأرض المقدسـة التـي تمحـور حولها خطاب الإدانة. وقد بدا وقتها أن السـلطات الأمريكية كانت سـعيدة بهذا الخطاب من قبل اليمين المتطرف ضد المنظمات الإسـلامية من أجل تحجيم نشاطها الذي تزايد بشكل ملحوظ في التسعينيات إبان فترة الرئيس الأمريكي كلينتون.

لكنه على الرغم من تكبيل تلك المنظمات بقوانين استثنائية ولوائح طوارئ، مثل Patriot Act، إلا أن الإقبال على الإسلام في الولايات المتحدة أخذ منحى تصاعديًّا خلال تلك الفترة، بحسب استطلاع رأي قام به مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية CAIR في 2011.

وحول إستراتيجية تحويط الخسائر الناجمة عن أحداث 11 سبتمبر يؤكد نهاد عوض، رئيس مجلس العلاقات الإسـلامية الأمريكية CAIR، أن المنظمات المسـلمة الأمريكية نشـطت منذ أحداث سبتمبر 2001م في العمل مع عدد متزايد من المنظمات المدنية الأمريكية، التي اهتمت بالدفـاع عن قضايا مسـلمي أمريـكا، في ظل الضغوط الكبـيرة التي تعرضوا لهـا بعد أحداث سبتمبر، ويمكن الإشارة في هذا السياق إلى أربعة تحالفات أساسية دخلها مسلمو أمريكا بقوة خلال العامين الماضيين:

1 - التحالـف الأول: قـام عـلى التقريـب بين مسـلمي أمريـكا وعدد من أكـبر جماعات الحقـوق والحريـات المدنية، مثل اتحاد الحريات المدنية، واتحـاد المحامين الوطني، واتحاد محامي الهجـرة الأمريكيـين، التـي انتَقَدَت مـا تعرضت له حقوق وحريات مسـلمي وعـرب أمريكا خلال العامين الماضيين.

2 - التحالـف الثاني: وقد قام على التقريب بين مسـلمي أمريـكا وعدد كبير من جماعات السلام ومناهضة الحروب الأمريكية، خاصة خلال مدة الحرب على العراق.

3 – التحالف الثالث: وقد قرَّب بين مسلمي أمريكا والجماعات المدافعة عن حقوق الأقليات في أمريكا، كالأفارقة واليابانيين والسيخ الأمريكيين، التي توحدت شعوريًّا مع مسلمي وعرب أمريكا خلال المدة التالية لأحداث سبتمبر، رافضين ما تعرضت له حقوق وحريات المسلمين والعرب من انتهاكات، ذكَّرتهم بمعاناتهم خلال أوقات تاريخية أخرى، كمعاناة اليابانيين الأمريكيين خلال الحرب العالمية الثانية.

4 – التحالف الرابع: سعى إلى التقريب بين مسلمي وعرب أمريكا وبعض الجماعات الدينية، مثل مجلس الكنائس الوطني، والكثير من الجماعات المعنية بالتقريب بين أبناء الأديان المختلفة، والتي نشطت في التواصل مع مسلمي وعرب أمريكا، وفتح قنوات للحوار معهم.

والآن، تقوم المنظمات الإسلامية باتباع نفس الإستراتيجية تقريبًا في مواجهة اليمين المتطرف الذي يستهدف التنوع أكثر مما يستهدف المسلمين، وهو أحد أكبر الفخاخ التي وقع بها هذا التيار؛ حيث إنه من الخطأ الفادح ترويج خطاب يميني قومي وسط أمة من المهاجرين.

أما في أوروبا، فالأمر مختلف إلى حد كبير، فالخطاب الفاشي إن كان غريبًا على الولايات المتحدة وشاذًّا في سياقها إلا أنه في أوروبا في متن القصيدة. فأوروبا قارة ذات هويات وقوميات وثقافات متمايزة، يربطها كيان سياسي هشّ. فمنذ تسعينيات القرن الماضي، تتمدد قواعد اليمين المتطرف في أوروبا وتزيد منصاته لأسباب عديدة، على رأسها النموذج الأوروبي كامل التعولم،

الـذي قلص من حضور الذوات القوميـة مقابل تعزيز الهوية الأوروبية الجامعة؛ وهذا الأمر لم يرض طموح عناصر اليمين القومي داخل تلك الدول.

إنّ تطور هذه الظاهرة أوصلنا اليوم إلى مفترقات طرق كبيرة لم تكن في المخيلة:

ففـي فرنسـا، تخوض مارين لوبان زعيمـة الجبهة القومية المتطرفة الانتخابات الرئاسـية في أبريل القادم (2017م) وسط ترجيحات كثيرة بدخولها جولة الإعادة في مايو. وفي أغسطس، تعقد الانتخابات التشريعية الألمانية وسط مخاوف ضخمة لدى أحزاب الوسط، ولاسيّما يمين الوسط الذي تنتمي إليه ميركل من اكتساح حزب "البديل من أجل ألمانيا AfD" للانتخابات . وعلى إثر هذا تسـعى أحزاب الوسـط واليسـار اليوم إلى التنسـيق مع بعضها من أجل تحجيم حظـوظ حزب البديـل المتطرف. وكان أولى ثمـرات هذا الكابوس اليميني وصول شـتاينماير وزير الخارجية السـابق المنتمي إلى يسار الوسـط إلى رئاسة ألمانيا، وهو ما جعل ميركل وحزبها بـين كفّي رحى قـوة الديموقراطيين الاجتماعيـين الصاعدة واليمين المتطـرف الممثل في حزب البديل. ويرجح كثيرون أن تضعف فرص وصولها إلى مقعد المستشارية للمرة الرابعة؛ بسبب سياساتها حيال الاتحاد الأوروبي، وموقفها المنفتح حيال المهاجرين.

في النمسا، وقبيل أشهر، كانت البلاد على وشك أن يصل إلى رئاستها رئيس يميني متعصب، حيث كان نوربرت هوفر (مرشح حزب الحرية النمساوي) على وشك الفوز بالانتخابات حتى انتزعها ألكسـاندر فـان دير بيلين بعد فحص التصويت عبر البريـد الإلكتروني. وركزت حملة هوفر الانتخابية التي حملت شـعار "النمسـا أولا" بالأساس على تقوية حدود البلاد وجيشها، وتقليل المنافع التي يحصل عليها المهاجرون، وإعطاء الأولوية للنمساويين في سوق العمل.

أمـا في هولنـدا، فقـد خـاض حـزب "الحريـة" بزعامـة اليمينـي المتشـدد جـيرت فيلدرز الانتخابات في مارس 2017 وكانت اسـتطلاعات الرأي تشير إلى حظوظ وفيرة لهذا الحزب، وإن لم تصدق هذه الاستطلاعات.

أضـف إلى ذلـك أن اليونان والمجـر وبلغاريا وبولنـدا تمتلئ فضاءاتها بأحزاب فاشـية على النهج الفاشي القديم، مثل أحزاب الفجر الذهبي، وجوبيك، وفيدس، والقانون والحرية.

لكـن المتغـير الأكثـر أهميـة في حالـة الصعـود اليمينـي في السـاحة الأوروبية أنـه تتصاعد اتهامـات له بأنه (موجّه)، حيث تتمتع تلك الحركات اليمينية كافة بعلاقات فائقة مع روسـيا، والزيارات إلى موسـكو لا تكفّ وسـائل الإعلام الأوروبية والعالمية عن رصدها. ففي فرنسا تمتـع جان ماري لوبان مؤسـس الجبهة القومية بعلاقات ممتازة مع موسـكو منذ التسـعينيات. وفي بريطانيا، لا يكفّ نيجل فاراج رئيس حزب الاسـتقلال UKIP الذي تزعم حملة استفتاء الخروج من الاتحاد الأوروبي عن مدحه روسيا، وتقديره لذكاء وفطنة الرئيس بوتين ؛ في حين أبدت أحزاب، كحزب الحريات النمساوي وحزب الحرية الهولندي تعاطفهما مع روسيا حيال ضمها لشـبه جزيـرة القرم، ورفضهما لأي عقوبات أعلنتها مؤسسـات الاتحـاد الأوروبي. كما

تدعم روسيا اليسار المتشدد في إسبانيا، وبحسب تصريحات وزير الخارجية الإسباني مارجايو فقد تلقّى حزب بوديموس اليساري دعمًا روسيًّا.

المنظمات الإسلامية بين الفرص والتهديدات

في قلب هذه الأحداث، تقف المنظمات الإسلامية موقفًا صعبًا حيال ملامح تلك الأزمة، وهذا الموقف الصعب دعا رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا عمر لصفر إلى أن يقر أن هذه المنظمات لا يمكنها هزيمة الفكر المتطرف بمفردها، ودعا إلى تضافر الجهود السياسية والاقتصادية؛ لأن التطرف في أغلب الحالات هو نتيجة لا سبب، ويرى لصفر أن العنف الذي كان خطابًا في ثمانينيات القرن الماضي غدا واقعًا نعيشه ونكتوي بناره، مؤكدًا ضرورة تلاقح الثقافات، والثقافة الغربية مطالبة بأن تتلاقح مع الثقافة الإسلامية التي يحملها أغلبية الفرنسيين المسلمين من أصول مهاجرة[18].

المتغير الأكثر أهمية في حالة الصعود اليميني في الساحة الأوروبية أنه تتصاعد اتهامات له بأنه (موجّه)، حيث تتمتع تلك الحركات اليمينية كافة بعلاقات فائقة مع روسيا، والزيارات إلى موسكو لا تكفّ وسائل الإعلام الأوروبية والعالمية عن رصدها

ولرئيس التجمع الإسلامي في ألمانيا سمير الفالح رأي آخر، إذ يرى بنبرة اعتذارية أنه لا يجوز تعميم القول بأن هناك نظرة مخطئة لدى معظم الغرب عن الإسلام، وإنما هو تدافع... هناك نظرة سلبية مغلوطة، وهناك نظرة منصفة وإيجابية. ويرى أن المسؤولية في النظرة السلبية المغلوطة يتحمل وزرها المسلمون في جزء منها؛ ثم يستطرد قائلًا: إن الآخر له إمكانيات هائلة، مثل وسائل الإعلام المختلفة، ولكن هذا لا يبرر التخلي عن المسؤولية[19].

والسؤال ذاته يجيب عنه رئيس اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا عمر لصفر لكن بنبرة شديدة الاختلاف، حيث يرى أن موقف رجال السياسة في فرنسا حيال مواجهة التطرف والإسلاموفوبيا "ليس على المستوى المطلوب، فنحن قادمون على انتخابات رئاسية، وانتخابات برلمانية في العام المقبل، وسيكون المسلمون كبش الفداء مرة أخرى، على غرار باقي المواعيد الانتخابية، وسيشار إليهم بأصابع الاتهام"[20]

هذا التباين في التصريحات الذي لا تخطئه عين مراقب من قبل زعيمين قطريين للمسلمين في كبرى بلدان أوروبا (فرنسا وألمانيا)، ناهيك عن كونهما عضوين في المكتب التنفيذي لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا- تحثنا على الوقوف عند الملاحظات الآتية:

الأولى: أن اختلاف وتباين البيئات المحلية الأوروبية هو وقت التأكد من شهادة وفاة لأي كيان عابر للحدود، بداية من الاتحاد الأوروبي ومؤسساته، نزولًا حتى اتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا نفسه. فالأرضية التي بُنيت عليها كيانات كتلك ضرورية للاستمرار، حيث إنها في حالة تآكلها ينهار الإجماع، لانهيار وحدة القياس ووحدة الموضوع.

الثاني: أن الكيانات القارية والدولية وارد فيها الاختلاف، لكن التباين في الرؤية بين التشاؤم المفرط والتفاؤل الحذر، وبين النقد الذاتي والنمط الاعتذاري- يقتلها.

والحقيقة أن الكيان الإسلامي في أوروبا يواجه أزمة هيكلية لم يقابلها أبدًا، وهي أزمة التنوع الذي كانت أوروبا تجود به سخية في الداخل والخارج. هذه الأزمة، إن لم يتم احتواؤها، ستطال أصحاب الديانات، كما ستطال أصحاب القوميات المتناقضة؛ لذا يجب على المنظمات الإسلامية العاملة في أوروبا توسيع أفقها باتساع الأزمة وتجذرها، وتبني سياسات تواصلية أكبر مع المجتمعات المحلية وأطيافها، حتى تضطلع بدور مؤثر، وتتخلى عن دور المستقبل.

فهذه التنظيمات يجب أن تحل إشكالية الإدماج، حيث لا تزال تعليمات التخويف من ضياع الهوية الإسلامية لمسلمي الجاليات حاضرة، وهو ما يبطئ أو يقلل من فرص الإدماج. يجب إنتاج خطاب فقهي ووعظي جديد يرتكز على الفقه المقاصدي في التعامل في مجتمعات التنوع.

كما أنه يجب التبرؤ من التطرف ودعاته بشكل قاطع، حتى لا يصيب شرر تلك الخطابات الجاليات بأكملها، مع استقراء الخبرة التاريخية في هذا السياق.

كذلك، فإنه ينبغي على تلك التنظيمات البحث عن زعامات سياسية تدفع بها إلى المشهد، أو بالأحرى تقوم على إنتاجها من داخل الجاليات، من أجل تحجيم نفوذ اليمين المتطرف من المساحة التي يريد أن ينتشر منها، مما سيساعد الوجود الإسلامي على كسب تعاطفات أفقية من قبل الجماهير التي لا يصل لها عادة أبناء الجالية أو وسائلها.

كما تنبغي دراسة كيفية التأثير في المناخ الإعلامي في أوروبا، ومحاولة الاشتباك مع الحالة الثقافية في القارة، وأن يكون لدى قيادات المنظمات الإسلامية بالقارة وجهة نظر ثقافية حول القضايا القارية. والمكاسب من هذا الأمر الأخير كثيرة، أقلها أن يتم احتواء الأجيال الحديثة من أبناء المهاجرين الذين ذابوا بشكل كامل في الهويات المحلية.

أما المنظمات الإسلامية في الولايات المتحدة، فإنها وإن كانت لا تفتقر إلى الزعامات السياسية إلا أنها تحتاج وبشكل كبير إلى خطة إعلامية واسعة، من أجل مواجهة شبكة اليمين المتطرف المتمكّنة إعلاميًّا، والسعي الحثيث إلى استقطاب إجماع شعبي وتشريعي على أهمية صيانة التنوع الذي يعدّ الخصيصة الأولى للأمة الأمريكية.

في المجمل، تعدّ فرص المنظمات الإسلامية في أمريكا الشمالية أفضل بكثير من نظيراتها الأوروبية، وذلك لأسباب مدعومة بشواهد من الماضي القريب. فخلال أزمة المنظمات الإسلامية مع إدارة بوش الابن، استطاعت تلك المنظمات كسب تعاطف مزيد من أعضاء الكونغرس حتى وصلوا إلى 82 عضوًا. وفي الوقت الحالي، ستقوم تلك المنظمات بجني مكاسب كبيرة في حال دعمها بشكل قوي لحقوق السود وذوي الأصول الإسبانية، ومعارضة بناء الجدار مع المكسيك. وفي خلال تلك الحملة، بإمكانهم تفكيك خطاب الإسلاموفوبيا باعتباره خطابًا عنصريًّا لا خطابًا دينيًّا.

أما المنظمات الإسلامية في أوروبا ففرصها ضعيفة، وهامش مناوراتها ضئيل، إلا إذا قامت بعمل مراجعات سياسية عامة لمجمل المشهد الأوروبي، وهو أمر قد لا يكون في المتناول بسبب مباغتة المحافل الانتخابية للمشهد الأوروبي الشهر المقبل.

الهوامش والمصادر :

1. البيان الختامي للهيئة العمومية الرابعة من الدورة العاشرة لاتحاد المنظمات الإسلامية في أوروبا (29 ربيع الثاني 1 جمادى الأولى 1438هـ الموافق 26-29 يناير 2017م). إسطنبول، تركيا. (منشور على موقع الاتحاد http://www.fioe.org/ShowNews.php?id=224)
2. Islamic Groups Named in Hamas Funding Case, New York Sun, June 2007 (http:// /www.nysun.com/national/islamic-groups-named-in-hamas-funding-case/55778)
3. موقع الاتحاد http://www.fioe.org/ShowPage.php?id=1&img=1
4. موقع المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث
/86%86%d8%ad%d9%86-%d9%85%d9%http://www.e-cfr.org/%d9
5. موقع المنتدى الأوروبي للمرأة المسلمة: http://www.efomw.eu/tekstovi1.aspx?gid=5
6. The Islamic States of America? - Daniel Pipes, FrontPageMagazine, September 23, 2004 http://www.danielpipes.org/2100/the-islamic-states-of-america
7. The AmericanMosque2011: Report Number1https://www.cair.com/images/pdf/ The-American-Mosque-2011-part-1.pdf
8. موقع مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية CAIR
86%d8%a7%d8%8a%d8%aa%d9%http://ar.cair.com/about-us/%d8%b1%d8%a4%d9 85%d8%%8c-%d9%86%d8%a7%d8%85%d8%aa%d9%87%d9%85%d9%8c-%d9% 86%d8%a7%a8%d8%a7%d8%af%d8%a6%d9
9. نفس المصدر
10. انظر قائمة مؤسسة CAIR للإسلاموفوبيا في الولايات المتحدة http://www.islamophobia.org/ islamophobic-individuals.html
11. مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية: كيان الإسلاموفوبيا وراء حظر الدخول، الأناضول، 7 مارس 2017
12. The AmericanMosque2011: Report Number1https://www.cair.com/images/pdf/ The-American-Mosque-2011-part-1.pdf
13. مستقبل المسلمين في أمريكا بعد الأزمة- علاء بيومي
14. The Rise of Populism in Europe: Can the Center Hold?, Michael Bröning, Foreign Affairs, June 2016 rise-populism-europe/03-06-https://www.foreignaffairs.com/articles/europe/2016
15. Angela Merkel, Squeezed by Far Right, Now Faces a Rising Left, NYTimes, 12 February, 2017 world/europe/germany-frank-walter-steinmeier-/12/02/https://www.nytimes.com/2017 merkel.html?_r=0
16. Nigel Farage Praises 'Mature' Vladimir Putin Over Response To Barack Obama Sanctions, HuffPost, 30 December, 2016 http://www.huffingtonpost.co.uk/entry/nigel-farage-praises-vladimir-putin-barack-obama-sanctions_uk_58669a6fe4b0d590e44ef4be

17. الأحزاب المتطرفة خيار موسكو للضغط على أوروبا، جريدة العرب اللندنية، 19/12/2015، العدد10132، ص6
18. اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا: لا نستطيع محاربة التطرف وحدنا /http://elaph.com/Web/ html.1098980/7/News/2016
19. رئيس التجمع الإسلامي بألمانيا: هذه رؤيتنا لمواجهة الإسلاموفوبيا، مجلة المجتمع الكويتية، 13 مارس 2017
html.06-56-13-30-05-2016-http://mugtama.com/issues2/item/35375
20. اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا: لا نستطيع محاربة التطرف وحدنا /http://elaph.com/Web/ html.1098980/7/News/2016